تجاه المسألة القومية والكولونيالية بشكل عام، وخصوصية نشأة الحزب الشيوعي في فلسطين، تلك النشأة التي انعكست سلباً في تطبيقه الشعارات التي رفعتها الأممية الشيوعية، هما قضيتان مركزيتان في الكتاب.

فحول أية مسائل تجلّـى موقف الأممية الشيوعية تجاه القضية الفلسطينية؟ يجيب الكتاب على هذا السؤال مستنداً الى واقع تطور القضية الفلسطينية والقوى التي لعبت، في تلك الفترة الزمنية المحددة، أدواراً أساسية في ذلك التطور. فالحركة الصهيونية، كحركة رجعية ذات ارتباطات بالامبريالية البريطانية وذات أهداف كولونيالية استيطانية في فلسطين، كانت احدى تلك القوى. وشكلت الحركة القومية العربية في فلسطين قوة أساسية لعب الموقف منها دوراً هاماً في تطور عملية بنـاء الحزب الشيـوعي الفلسطيني التاريخية. وكصلة ما بين الأممية الشيوعية وفلسطين يأتي الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي أنيط به تطبيق شعارات الأممية، ليشكل، في مراحل بنائه وشروط الاعتراف به من قبل الأممية الشيوعية، مسألة كان لهذه الأممية منها موقفاً واضحاً محدداً تجلى في موقفها من قضية «تعريب» الحزب.

## موقف الأممية الشيوعية من الصهيونية وأثره على عملية بناء الحزب الشيوعي في فلسطين

لقد كان موقف الأممية الشيوعية من الحركة الصهيونية ادانة صريحة ثابتة. وقد جاء نشوء هذه الحركة في أوروبا، ووجود الجسم الأساسي اليهودي في روسيا، ليضعا الصهيونية في مواجهة مباشرة مع الحركة العمالية العالمية وليكونا السبب وراء بلورة موقف مبكر منها. فأدان لينين، كأبرز قادة الحركة العمالية العالمية، الحركة الصهيونية وفنّد اطروحاتها باعتبارها «عقيدة تخدم مصالح البورجوازية اليهودية المتحالفة مع الامبريالية». وقد جاءت هذه الادانة قبل أن يتبلور المشروع الصهيوني في فلسطين. وبعد تأسيسها، ثابرت الأممية الشيوعية على نهج الادانة هذا، بل صعدت من مستواه مع بدء تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين باعتباره «فكرة طوباوية بورجوازية صغيرة ورجعية، تحرف أنظار الكادحين اليهود عن الصراع الطبقي» ولأنها «وبحجة اقامة دولة يهودية في هذا البلد، الذي يشكل اليهود فيه أقلية ضئيلة، قد قدمت السكان الأصليين من الكادحين العرب قرباناً للاستغلال الانكليزي» (اضافة «فرومكينا» حسب اقتطاف الدكتور الشريف عن المؤتمرات العالمية الأربعة الأولى للأممية الشيوعية).

ان ادانة الحركة الصهيونية، ومشروعها في وقت لاحق، تلك التي تكرست حتى قبل المؤتمر التأسيسي للأممية الشيوعية واستمرت بعد تأسيسها كموقف ثابت لها، قد تم تبنيه من قبل الفرع الفلسطيني للأممية الشيوعية، ولكن الأهم من ذلك، وهذا ما اقتضى توضيحه جزءاً غير قليل من كتاب الدكتور الشريف، هو أن اعتراف الأممية الشيوعية بالفرع الفلسطيني لها لم يتحقق الا بعد أن تحرر أعضاؤه من أوهام «الصهيونية البروليتارية»، وبعد ادراكهم التناقض الجذري بين الصهيونية والاشتراكية. لذلـك فإن ادانـة الحركـة الصهيونية ومشروعها في فلسطين لم تشكل موقفاً للأممية الشيوعية واجه صعوبة في الترجمة من قبل الفرع الفلسطيني لها، غير انه كان موقفاً للأممية الشيوعية له أثره الحاسم في عملية التطور التي أدت إلى ولادة الحزب الشيوعي في فلسطين. والحزب الشيوعي في فلسطين، الذي انبثق في تموز (يوليو) ١٩٢٣ وجرى الاعتراف به رسمياً من قبل الأممية الشيوعية في شباط (فبراير) ١٩٢٤، قد جاء نتاج عدة عمليات تمايز وتحول في صفوف المجموعة الصهيونية العمالية (بوعالي تسيون) التي ترجع جذورها الى الجناح الصهيوني في الحركة العمالية في روسيا القيصرية، وبشكل أساسي الى مجموعة البوعالي تسيون الروسي بقيادة بير بوروشوف الذي يعتبر الأب الروحي للصهيونية الاشتراكية والذي كان ينادي بضرورة النضال في سبيل تحقيق «الاستقلال الاقليمي للشعب اليهودي في فلسطين» على قاعدة فهم مقصود للمسألة اليهودية يرتكز على اعتبار التركيبة الاجتماعية اليهودية تركيبة «غير طبيعية»، وان «الهجرة المنظمة» الى فلسطين هي التي توفر امكانية تحقيق التركيبة الاجتماعية «الطبيعية» وتسمح لجماهير اليهود المهاجرة بالنفاذ الى مرافق الانتاج الأساسية لاقتصاد البلد المتخلف.

ان تقديم صورة واضحة عن نشوء وتطور الحركة العمالية اليهودية في روسيا التي تمثلت في «البوند»